مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٧) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (7) 2026

أزمة المثقف العربي وأثرها على الواقع

***د. هلا علي**
****د. عفراء اسماعيل**
*****رشا ابراهيم زملوط**

(تاريخ الإيداع ٢/٥ /٢٠٢٦. قُبِل للنشر في ٤/٨ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

يهدف البحث إلى تقصّي رؤية كل من تياريّ الأصالة والمعاصرة تجاه أزمة المثقف أولاً، ومن ثم استعراض قراءات إدوارد سعيد للأسباب التي أدت إلى تلك الأزمة، وتحديد دور الغرب في تعميق تلك الأزمة من خلال تعويم منهج الاستشراق على حساب إنتاجات الفكر العربي. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي حيث ركز على توصيف الأزمة التي يمر بها المثقف العربي، ثم تحليل أسبابها من وجهة نظر المفكر العربي إدوارد سعيد. وتوصّل إلى مجموعة من النتائج، أبرزها: إنّ كلّاً من الاتجاهين الأصيل والمعاصر يَحمِلُ دعوة للتغريب، إمّا هروباً إلى الأمام وتغييب الماضي، وإمَّا تقهقراً ونكوصاً إلى الخلف والتفريط في الحاضر والمستقبل، وبالتالي لا سبيل إلى تجاوز تلك الأزمة إلّا من خلال محاولة الموازنة والتوفيق بينهما. كما أنَّ صورة المثقف التي أوضحها إدوارد سعيد والتي ركّزت على الممارسات السُلطية التي رافقت مسيرة المثقف في القرن العشرين ومحاولة توجيه أفكاره نحو خدمة سلطة أو هيئة مركزية واحدة، عمّقت من أزمة المثقفين العرب، وأفقدتهم دورهم الوسيط بين السلطة والجمهور.

الكلمات المفتاحية: الأزمة، المثقف العربي، الأصالة والمعاصرة، إدوارد سعيد.

*أستاذ مساعد _ قسم الفلسفة _ كلية الآداب والعلوم الإنسانية _ جامعة اللاذقية _ سورية، haladamas1980@gmail.com

**أستاذ مساعد _ قسم الفلسفة _ كلية الآداب والعلوم الإنسانية _ جامعة اللاذقية _ سورية afraaismael2018@gmail.com

***طالبة دكتوراه، ومعيدة في قسم الفلسفة _ كلية الآداب والعلوم الإنسانية _ جامعة اللاذقية _ سورية rasha.zamlout9@latakia-univ.edu.sy.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٧) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (7) 2026

The crisis of the Arab intellectual and its impact on reality

*Dr. Hala Ali
**Dr. Afraa Ismael
***Rasha Ibrahim Zamlout

(Received 5/2 /2026. 8 /4/2026)

□ **ABSTRACT**□

This research aims to explore the perspectives of both the traditionalist and modernist currents regarding the crisis of the intellectual. It then examines Edward Said's interpretations of the causes of this crisis and identifies the West's role in exacerbating it by promoting Orientalism at the expense of Arab intellectual output. The research employs a descriptive-analytical approach, focusing on describing the crisis facing the Arab intellectual and then analyzing its causes from the perspective of the Arab thinker Edward Said. It arrives at several conclusions, most notably that both the traditionalist and modernist trends advocate Westernization, either as an escape into the future and a disregard for the past, or as a regression and a retreat into the past, neglecting the present and future. Therefore, the only way to overcome this crisis is through an attempt to reconcile and balance these two approaches. Furthermore, Edward Said's portrayal of the intellectual, which focuses on the authoritarian practices that characterized intellectual life in the twentieth century and the attempts to direct intellectual thought toward serving a single central authority or institution, has deepened the crisis of Arab intellectuals and deprived them of their role as mediators between the government and the public.

Key Words: Crisis, Arab intellectual, Authenticity and modernity, Edward Said.

*Assistant Professor- Department of Philosophy - Faculty of Arts and Humanities - Latakia University - Syria. haladamas1980@gmail.com.

**Assistant Professor- Department of Philosophy - Faculty of Arts and Humanities - Latakia University - Syria. afraaismael2018@gmail.com.

***PhD Candidate and Teaching Assistant - Department of Philosophy - Faculty of Arts and Humanities - Latakia University - Syria. rasha.zamlout9@latakia-univ.edu.sy.

المقدمة

تطوَّر مفهوم المثقف العربي عبر العصور المتعاقبة بشكل يدعو إلى تتبُّع أفكاره، وتغيُّر ثقافته، ومجالات اهتمامه التي ظهرت في شخصية العالِم أو الفقيه المرتبط بالسلطة الدينية في العصور القديمة والوسطى، ومن ثم توجّهاته نحو التنوير الذي بدأ إبّان عصر النهضة الأوروبية؛ فحاول المثقف العربي بدوره الدخول في غِمار العقلانية، والبحث في موضوعات تبتعد شيئاً فشيئاً عن الأصول الدينية. ومع تطوّر دوره الاجتماعي والسياسي في القرنين التاسع عشر والعشرين توجّه نحو النقد، فمارس دورَه كناقدٍ للموضوعات التقليدية الموروثة من جهة، وناقدٍ للذات الثقافية التابعة للغرب، والمُطالِبة بالانشقاق الدائم عن موروثها من جهة أخرى.

ولا شكّ أن المثقف العربي لديه من الإنتاجات الفكريّة والمعرفيّة ما يكفي لحجز مقعد ضمن المفكرين المعاصرين، وإنّ ما تعرّضت له الأمّة العربية من استبداد واستعمار، كشف دور المثقفين، ومشاركتهم الوطنية، والاتّجاه الإصلاحي العربي المُشبَع بالقيم الإنسانية، وقد عاشت الأمة العربية مرحلة من الإنتاجات التي وصلت إلى تقديم منظومة فكرية متكاملة من الكتابات، ومن أمثال أولئك المفكرين "محمد عابد الجابري، والطيب تيزيني، وحسن حنفي".

إلّا أنه وبعد جلاء المستعمر بدأ المثقفون العرب بالانكفاء على ذاتهم، وانخفضتْ إنتاجاتهم الفكرية شيئاً فشيئاً، ولم يعوّضوا بمثقفين في هذا المستوى، فظهرت تيارات نهضوية ما بين القرنين التاسع عشر والعشرين حاولت طرح الموضوعات التي تهمّ الفكر العربي في محاولة منها لتخَطّي المأزق التاريخي الذي يعيشه الفكر العربي مقابل نظيره الغربي، إلّا إنَّ تلك الطروحات غالباً ما جعلت من المثقف العربي واحديّ الوجهة في التفكير، واقتصرت الرؤية الموضوعية لديه، حيث برزت قضية جوهرية على مستوى الثقافة، والفكر تمثّلت في قضية "الأصالة والمعاصرة"، فانقسم المفكرون العرب إلى فريقين اثنين، أحدهما فريق الأصالة والذي اتّجه نحو المحافظة على الثقافة العربية والتمسّك بالماضي المزدهر، وبالأصول الثابتة دون النظر إلى واقعه وما آلت إليه الثقافة في الوقت الراهن، والآخر فريق المعاصرة الذي دعا إلى قطيعة مع التراث، وتبنّي نموذج الغرب، واستعارة الموضوعات الثقافية وإسقاطها في واقع لا تنتمي إليه، فتبدو أفكاراً وثقافات مفككة، وغير مترابطة مع واقع الثقافة العربية.

هكذا عاشت المجتمعات العربية طوال الحقبة الماضية، ولا تزال إلى الآن، وعاش الفكر العربي بشكل خاص صراعاً بين ثنائيات متناقضة _"الأصالة والمعاصرة"، "التراث والتجديد"، "الثابت والمتحول"، "الأنا والآخر"_ انعكست على المثقف العربي لتُشكل أزمة في إنتاجه الفكري الذي باتَ يعكس بعداً واحداً يسعى إلى إثباته من خلال التمسّك به، والدعوة إليه، ومغالطة التيارات الفكرية الأخرى. فأصبحت هذه الأزمة محط تساؤلات، الهدف منها بيان أسبابها من جهة، والسعي إلى إعادة تعيين المثقف العربي كذات فاعلة في المجتمع.

وضمن هذا السياق، يجد البحث أن الكثير من المفكرين العرب نظروا إلى هذه الأزمة من منظار الأصالة والمعاصرة، ومن ضمنهم محمد عابد الجابري الذي اعتبر أن المشكلة تبدأ من تلك الازدواجية التي يعيشها المثقف العربي نتيجة تصادمه مع مرجعيّتين، مما يخلق لديه اضطراباً فكريّاً يجعله يميل إلى إحداهما وإلغاء الأخرى، ويؤكّد أن المثقف العربي المعاصر هو من يعاني تلك الأزمة، لكونه لا يجد نفسه مشبعاً بالثقافة

العربية المحضة، والتراث الأصيل، ولا سيما في ظلّ ما توصلت إليه الحضارة، وما أفرزه العصر الراهن من حضارات، وثقافات باتت متاحة أمام المثقف العربي، ومن السهل الاطلاع عليها، والتأثر بها.

يعبّر الجابري عن هذه الحالة بعبارة: "**تداخل الأزمنة الثقافية في فكر المثقف العربي، وذلك على الصعيدين المعرفي والإيديولوجي، فعلى الصعيد المعرفي ما زال المثقف العربي كما منذ "العصر الأموي" يستهلك معارف قديمة على أنها جديدة، وأما على الصعيد الإيديولوجي فإن هذا المثقف كان منذ "العصر الأموي"، كذلك وما يزال إلى اليوم يعيش في وعيه صراع الماضي متداخلاً مع أنواع الصراعات الأخرى التي يشهدها حاضرة**"[ ]، وبالتالي فإن ذلك الصراع بدأ يتوضّح لدى المثقفين العرب الذين يعيشون توتراً بين الثابت والمتحوّل، هذا التوتر يتّضح في صعوبة التوفيق بين الهوية الثقافية العربية ذات الطابع الإسلامي وتأثيرات العولمة المتزايدة.

وكذلك يشير أدونيس إلى أنَّ هذه الثنائية مُتجذّرة في الفكر العربي فيقول: "**تجلى هذا التّعدد في اتجاهين: الأول يحافظ على القيم السائدة: القديمة التي أقرها الإسلام، والجديدة التي نشأت معه، والثاني يتمرّد عليها ويخرج**"[ ]، وإن السلوك في أحد الاتجاهين يُعرّض المثقف إلى أحد الأمرين: فإمّا أن يجد نفسه متَّهماً بالانغلاق أو الرجعية عند تمسّكه بالأصالة، وإمّا أن يتعرّض لانتقادات بالانحياز للغرب أو الانفصال عن جذوره عند سعيه للتحديث، مما أدى إلى وقوع المثقف العربي المعاصر في أزمة فعلية. فأخذ كل تيار يحاول تشخيص مسبباتها، ودراسة التأثيرات المحيطة بتلك الأزمة، كما سارع العديد من المفكرين إلى البحث عن حقيقة تلك الأزمة، وبيان صورة المثقف الحقيقي، وما يجب أن يكون عليه، ومن ضمنهم المفكر العربي إدوارد سعيد (١٩٣٥ _ ٢٠٠٣م) الذي كان من أبرز المفكرين الذين دَعَوا للعناية بالمثقف العربي ودراسة صوره وأحواله، وارتباطاته بالسلطة، فَأولى اهتماماً بالغاً بدراسته؛ لكونه الفرد الوحيد القادر على قول الحقيقة والنهوض بالمجتمع ورفعه من براثن الجهل.

وفي ضوء ما تقدّم، يتساءل البحث حول رؤية كل من تياريّ الأصالة والمعاصرة تجاه أزمة المثقف أولاً، ومن ثم استعراض قراءات إدوارد سعيد لتلك الأزمة، وما هي أسبابها، وانعكاساتها على واقع الفكر العربي؟

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تتوضح أهميّة هذا البحث من دراسته لأحد الجوانب التي تتعلق بـ "المثقف العربي" الذي يمثّل الدور المحوري في تشكيل الوعي الجمعي، واستعراض التحولات التاريخية، والاجتماعية التي لحقت بالمجتمعات العربية. كما يسهم هذا البحث في الكشف عن مجموعة من العوامل التي وصلت بالمثقف العربي إلى واقع مأزوم، وسبر انعكاساتها على الواقع، وتسليط الضوء على أهمية دور المثقف وخطورة غياب هذا الدور.

أيضاً يُسهم هذا البحث في سد ثغرة معرفية حول أزمة المثقف العربي، وتراجع دوره في الفضاء العام وذلك من وجهة نظر تياريّ الأصالة والمعاصرة أولاً، ومن ثم استعراض رؤية إدوارد سعيد (١٩٣٥ _ ٢٠٠٣م) في هذا الصّدد، وذلك لما يشغله سعيد من مكانة خاصة بين المفكرين العرب المعاصرين، وما قدّمه من صور لذلك المثقف وتراجع قدرته على التمثيل الصحيح لدوره.

[ ] الجابري، محمد عابد. ١٩٨٤، *تكوين العقل العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص ٤٥.

[ ] أدونيس. ١٩٧٤، *الثابت والمتحول بحثٌ في الإتّباع والإبداع عند العرب ١ _ الأصول*، دارة العودة، بيروت، لبنان، ص ٢٠٦.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وهي:

-الإضاءة على واقع المثقف المعاصر في المجتمعات العربية، وما يمرّ به من أزمات حَالَت دون بلوغه المستوى الذي ارتقى إليه سابقوه من المفكرين العرب.

-دراسة الأسباب التي أدت إلى أزمة المثقف العربي من زاويَتيّ الأصالة والمعاصرة.

-استعراض رؤية المفكر العربي إدوارد سعيد للأسباب التي أدت إلى أزمة المثقف العربي، وتحديد دور الغرب في تعميق تلك الأزمة من خلال تعويم منهج الاستشراق على حساب إنتاجات الفكر العربي.

منهجية البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث يركز على توصيف الأزمة التي يمر بها المثقف العربي من زاويتي الأصالة والمعاصرة، ومن ثم تحليل أسبابها من وجهة نظر المفكر العربي إدوارد سعيد.

أولاً: أزمة المثقف العربي من زاويَتيّ الأصالة والمعاصرة

إن روّاد تيار الأصالة من المثقفين يعكسون رغبة في العودة إلى الجذور الثقافية والاجتماعية والدينية للهُويّة العربية، والانشداد نحو الماضي العربي الإسلامي المزدهر، وإن المثقفين من هذا التيار يستمدون فِكرهم من العقيدة الدينية فَهي المَنفَذ إلى قضايا المجتمع، وهي المُنطلق نحو التفكير، وقد ورد في كتاب "الحداثة والتاريخ" عن الجابري قوله إن: "**المثقف يعمل بفكره، مرجعيته المركزية تتحدد في العقيدة، يفكر من خلالها، ويحتمي بها، إضافة إلى كل ذلك يستطيع تحويل العقيدة إلى رأي، إنه في نهاية التحليل، يمارس العمل السياسي، والعمل الفكري، بتوسط العقيدة**"[ ]، وضمن هذا السياق يوضح رُوّاد تيار المعاصرة والحداثة أن الانطلاق من العقيدة والعودة إليها، يُوقِع المثقفين في فخّ الانغلاق الفكري، حيث يكتفي المثقف ها هنا بتفسير الظواهر والأحداث من زاوية قيَمية ودينية تقليدية، مما يمنعه من رؤية الصّورة الكاملة أو التفكير النّقدي في القضايا المعاصرة.

كذلك يمكن النظر إلى ضعف قدرة المثقف الأصيل في التأثير في المجتمع العربي المعاصر، وعدم قدرته على تحويل أفكاره إلى رموز فعلية في المجتمع، مع غياب التفاعل، والحوار الفعال بين المجتمع ونِخَبه، الأمر الذي يجعل لدى المثقف شيئاً من التحدّي للإبقاء على القيم الأصيلة حيّة ومُلهمة في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية، وهذا ما يعمّق أزمته، ويجعله في الكثير من المواضيع منفصلاً عن الواقع؛ إذ إنّ تطرّفه في الدّفاع عن التراث، ومحاولة إحيائه بتفصيلاته قد يودي به إلى إقصاء الأفكار الجديدة، ومن الممكن أن يولّد قطيعة بين التراث والمعاصرة، وضمن هذا السياق يقول أحد الباحثين إن المثقف العربي يعكس حالة التفرقة في المجتمع، فهو: "**يُتهم بأنه فقد فاعليته، لأنه لم يقم بالدور المنتظر منه، وهو إنتاج المعرفة، مما جعله في مؤخرة المجتمع، وفي عزلة عن الناس**"[ ]، في الوقت الذي يُنتظَر منه أدوّارٌ عدّة تُعيد البوصلة نحو المشاريع النهضوية.

[ ] عبد اللطيف، كمال. ١٩٩٩، *الحداثة والتاريخ حوار نقدي مع بعض أسئلة الفكر العربي*، إفريقيا الشرق، المغرب، ص ١٤٨.

[ ] علي عيد، محمد أحمد الصغير. ٢٠٢٤، *أزمة المثقف العربي والتحول الديمقراطي*، مجلة نقد وتنوير، ٢٠(٢٠)، ص ٧٨.

وفي الجهةِ المقابلة، يسعى روّاد تيار الأصالة إلى تشخيص أزمة المثقف العربي المعاصر من خلال تصويره بمظهر المُحتل من قبل الغرب، وذلك من خلال العولمة التي احتلت عقل المثقف فكرياً ومعنوياً، وجعلته غريباً عن تراثه، يسعى لقطع أية علاقة معه. حيث يرى هذا التيار أن المثقف المعاصر تعرّض للغزو الثقافي، فتدمّرت بنيته الثقافية والسياسية والاجتماعية العربية، لا سيما وأن الإنتاج الكمّي للكتابات العربية في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي أبرزت صورة المثقف التي تتداخل ضمن كتاباته الحياة الاجتماعية والسياسية التي يعيشها، فيقول بن الهذيلي: "**المثقف كائن مسكون بطبعه بالسياسة. فلا قيمة للأشكال الثقافية ما لم تكن جزءاً لا يتجزأ من تنظيمات سياسية وتاريخية، سواء أكان المثقف فرداً مستقلاً بذاته أم ضمن نخبة**"[ ]، وبالتالي إن ابتعاده عن تفصيلات تلك الهوية العربية، وقيَمها المجتمعية والثقافية والسياسية جعله غريباً عن واقعه.

إضافة إلى عامل الإبداع الذي بات مغيّباً لدى البعض من المفكرين والمثقفين العرب، فيميلون إلى استعارة الموضوعات من الغرب مع غياب واضح للقيم النقدية، كل ذلك يفاقم الأزمة. وإنّه لَمِن الحَريّ بالمثقف أن يتقصّى مشكلات واقعه، ويصوغها بطرق واضحة، تمهيداً لتقديم حلولٍ ورؤى مستقبلية لها، وألّا يكون عُرضةً للمفاجآت والأحداث العابرة، والمتسارعة، فيبقى فِكره عائماً لا ماضي له، ولا مستقبل. هذا ما يؤكد عليه ناصيف نصار الذي يعتبر أن المثقف العربي مدعوٌ للتحرّر فكرياً بالقدر الذي يستطيع استيعاب البيئة المحيطة به، وتشخيص المشكلات التي يعانيها مجتمع الحضارة العربية، ويقول في ذلك: "**يستطيع الفيلسوف العربي الوقوف موقف الاستقلال من تاريخ الفلسفة، بقدر ما يستوعب عقله أصول المشكلات المجتمعية التاريخية التي تعيشها الشعوب العربية، في وضعيتها الحضارية المتميزة عن سائر الوضعيات الحضارية**"[ ]، بالإضافة إلى ذلك هو مدعو للانخراط في عملية الإبداع، واجتراح حلول للأزمات، وطرح المشاريع النهضوية.

ذلك التشظّي الهويّاتي بين الأفكار الموروثة والأفكار الوافدة، وصعوبة الموازنة بينهما تعبّر عن عمق الأزمة التي يعيشها المثقف العربي، وتكشف عن التحدّي التاريخي الذي يواجهه بين أن ينغلق على التراث أو ينجرف نحو التحديث، وفي كلتا الحالتين سيصبح بعيداً عن الواقع العربي، ومشكلاته، ولا سيما في غياب الرّوح النّقدية التي تقود المثقف إلى الطوباوية، والاعتقاد بامتلاك الحقيقة بشكل تام.

إضافة إلى ذلك لا يمكن إغفال ما تعرّض له المجتمع العربي من تجارب في الاستعمار والتحرّر صاغت العديد من المفاهيم التي عبّرت عن وجه تلك الحضارة العربية، وكان لتلك التجارب من العمق حدَّ التأثير في مختلف جوانب الحياة، ليست الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فحسب، بل أثرت على المجالات الفكرية، والثقافية، والأدبية، والفنية، وتوضح الأثر الأكبر لها في نفوس المثقفين العرب، وصورهم، وقدرتهم على تمثيل مجتمعاتهم.

وإنَّ إدوارد سعيد واحد من المفكرين العرب الذين بحثوا بشكل كبير في صورة المثقف العربي، ومنهجيته، ومقالاته، وحتى أزماته، وذلك لِقناعته بدوره المهم كأحد أوجه الحضارة في أمته، حيث أشار سعيد في كتابه "**صورة المثقف**" إلى أن هذا الأخير فردٌ مميزٌ ضمن "**عصبة صغيرة من الملوك _ الفلاسفة، الذين يتحلّون**

[ ] بن الهذيلي، يسريى. ٢٠٢٥، *أزمة المثقف العربي وتجليات فكر الأزمة قراءة في أدب النكسة /مقاربة سوسيو _ثقافية*، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران ٢، ١٤(١)، ص ٣٤.

[ ] نصار، ناصيف. ١٩٧٩، *طريق الاستقلال الفلسفي*، ط ٢، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص ٣١.

بالموهبة الاستثنائية وبالحسّ الأخلاقي الفذّ، ويشكلون ضمير البشرية"[ ]، وفيما يلي سنوضّح أسباب تأخر المثقف العربي، والمحددات التي أحاطت به، وأدت إلى تأزمه.

ثانياً: المثقف العربي من زاوية إدوارد سعيد وأسباب أزمته

قرأ سعيد (١٩٣٥ _ ٢٠٠٣م) العديد من التعريفات الكلاسيكية التي وصفت المثقف، والتي تناولت أدواره التي يمكن أن يمارسها في المجتمع، فاختلفت الآراء والتصورات حول هذا المفهوم، وقد أرجع سعيد ذلك لاختلاف اللهجات، واللغات، والاعتماد في كثير من الأحيان على كلمات مرادفة لمفهوم المثقف، إلا أنها لا تعبّر عنه بشكل حقيقي، لذا يجد البحث أنَّ سعيداً ميّز بين المثقف المتعلم الذي تحدّث عنه ماكس فيبر، وبين المتعلم الذي يطمح إلى النفوذ السياسي كما عبّر إدوارد شيلز، وبين المثقف الملتزم والواعي اجتماعياً، والمفكر ورجل العلم.

وأيّاً يكن ذلك المثقف؛ فهو العنصر الأكثر جدلاً ضمن مجتمعه والمجتمعات الأخرى، وضمن هذا السياق يجد سعيد أن المثقفين هم اللبنة الرئيسة لأعمال المجتمع المعاصر، وتحركاته، وثوراته، وتحدياته، فيقول: **"بدون المثقفين لم تشتعل ثورة رئيسية في التاريخ الحديث، وفي المقابل لم تقم حركة مضادة للثورة بدون المثقفين، فالمثقفون هم آباء الحركات وأمهاتها"**[ ]، وعلى هذا النحو تتوضّح الأهمّيّة الكبيرة التي تَتَمتّع بها تلك الفئة من المجتمع. الفئة التي يُخشى اختفائها، أو ضياعها، أو تغيير مهمّاتها، لأن المثقف عند سعيد هو: **"ذاك المُتمتّع بالصفة التمثيلية ويعبّر بجلاء لجمهوره عن تلك الأفكار التي يمثّلها برغم كل أنواع العوائق"**[ ]، وبالتالي فإن آراء المثقف، وبصْمته، وكيفية تأثيره في مجتمعه هي ما تحدّد المثقف لدى سعيد، أكثر مما يحدّده تعريف المثقف الذي فاضت في تعريفاته الأبحاث والدراسات.

يمكننا القول: إنَّ سعيداً يريد توسيع دلالة كلمة المثقف ليجعله الفرد الذي يتمتع بقدر من الوعي الاجتماعي والسياسي إلى جانب الوعي الخاص، فيخرج من دائرة الذات إلى المجتمع، من خلال إقناع الآخرين بوجهة نظره. إذ لا مجال لوجود مثقف خاصّ بالنسبة إلى سعيد، كما لا يوجد مجال لمثقف عام خارج عن إطار قناعاته الشخصية، فيقول: **"لا وجود البتة لمن يمكن وصفه بمثقف خاص، لأنك تدخل العالم العام منذ اللحظة التي تكتب فيها كلماتك ثم تنشرها، كذلك لا يوجد مثقف عام فقط، يعيش كمتحدث باسم أفراد، أو هيئات، أو رمز لقضية، هاتان السمتان تعطيان معنى لما يقال أو يكتب"**[ ]، وبناءً على ذلك وجد البحث أنَّ صورة المثقف التي اشتغل عليها سعيد ارتبطت بشكل وثيق بمجموعة من المفاهيم الخاصة والعامة، كالمنفى، والهوية، والتمثيل، والاستشراق، والثقافة، وغيرها الكثير من المقولات التي تؤثر في إنتاجاته، وتطويره، وحتى أزماته.

وجدير ذكره أن الطروحات التي تتعلّق بالمثقف وصوره المتعددة، هي أحد الموضوعات التي تشغل المثقفين بحدّ ذاتهم، فالذي يتحدث عن أزمة المثقف هو مثقف بالضرورة، يعي ذاته أولاً ومن ثم يدرك أهمية أن يمتلك القدرة على نقل رسالة أو رؤية فلسفية أو رأي إلى الجمهور، وإن امتناعه عن ذلك، وعدم قدرته على تمثيل أفكاره، ومجتمعه، والتأثير به، يُبعده عن دوره الأساسي، وبالتالي يدرك أزمته، وإنَّ سعيداً قد وصف

[ ] سعيد، إدوارد. ١٩٩٦، *صور المثقف محاضرات ريث ١٩٩٣*، ترجمة: غسان غصن، دار النهار، بيروت، لبنان، ص ٢٢.

[ ] سعيد، إدوارد. *صور المثقف محاضرات ريث ١٩٩٣*، ص ٢٧.

[ ] المصدر السابق نفسه، ص ٢٩.

[ ] المصدر السابق نفسه، ص ٢٨ _ ٢٩.

المثقف في كتابه " الآلهة التي تفشل دائماً" بأنه: **"شخص ما يمثّل على نحو جلي وجهة نظر من نوع ما، وشخص ما يقدم بينات واضحة لجمهوره رغم كل ضروب العوائق، وأن المثقفين أفراد لديهم استعداد فطري لفن التمثيل، وذلك الاستعداد هو المهم ويتضمن كلاً من الالتزام والمجازفة، الجرأة وقابلية السقوط معاً"**[١].

انطلاقاً من ذلك فإنّنا لا يمكن أن نفهم أزمة المثقف العربي لدى إدوارد سعيد دون العودة إلى المفهوم الأشهر، والذي عَنوَن فيه أحد أبرز كتبه وهو "الاستشراق"، حيث وجد سعيد أن عجز المثقف العربي في كثير من الأحيان عن التمثيل الصحيح لأمّته العربية، وعجزه عن تقديم الصورة الثقافية والحضارية الصحيحة عن الشرق، وترْك أمور الشرق للمستشرقين أوقعه فيما يُمكن تسميته **"أزمة الاستشراق"**، والتي بدورها دفعت بنا إلى تقصّي حقيقة الشرق من الغربيين المستشرقين، وباتت صورهم التي صدّروها لنا هي المرجعيّة الرّئيسة، وذلك بعد أن تم الاستثمار بالاستشراق على مدى عقود طويلة جعلت منه مذهباً معرفياً مفروضاً على الشرق، فيقول سعيد: **"إن الاستشراق في جوهره مذهب سياسي فرض فرضاً على الشرق لأن الشرق كان أضعف من الغرب، وإن مجرد وجود مجال مثل الاستشراق دون أن يقابله شيء من الشرق الحقيقي يدل على القوة النسبية للشرق والغرب"**[٢]، فمن الناحية الفكرية يعود ذلك إلّى عجز المثقفين العرب عن مجابهة تلك التمثيلات التي قدمتها النصوص الغربية عن واقعهم، وأمّا عن الشرعية التي يمتلكها المستشرق في فرضه لرؤيته عن واقع المجتمع العربي، إنّما تعود بشكل أساسي إلى هيمنته السياسية، والاقتصادية، التي تترجم بشكل مباشر إلى هيمنة ثقافية، ومعرفية تثير التّبعية الفكرية، ويقول سعيد في هذا الصّدد: **"إن الشرق الذي يظهر في الاستشراق نظام من الوصر التي صاغتها مجموعة كبيرة من القوى التي أدخلت الشرق في مجال العلوم الغربية والوعي الغربي، وبعد ذلك بفترة في إطار الإمبراطورية الغربية، وإذا كان هذا التعريف للاستشراق يتسم بملامح سياسية، فالسبب أنني أعتقد أن الاستشراق نفسه كان من ثمار بعض القوى والأنشطة السياسية"**[٣]، وإن ما يعمّق تلك الهيمنة هو الغياب الشرقي، وإن ما يمكّن الغرب، والمستشرقين من الحضور هو الغياب الحقيقي للشرق.

جانب من الجوانب الأخرى التي كشفت عن أزمة المثقف العربي المعاصر برأي إدوارد سعيد هو إمكانية ارتباطه بالسلطة، وتحالفه معها، الأمر الذي يحوّله في كثير من الأحيان إلى مجرّد مهني، ومحترف في مجال تخصّصه، يسعى ليكون خادماً لمؤسسة، أو طبقة معينة، وإن هذا التّحالف يفقِده القدرة على النقد الحُرُّ، وهذا ما يرفضه سعيد، ويعبر عن قلقه إزاءه، فيقول: **"يلوح لي خطر اختفاء المثقف أو احتجاب مكانته في خضم هذه التفصيلات الكثيرة، أي خطر النظر إلى المثقف باعتباره أحد المهنيين وحسب أو مجرد رقم نحسبه في حساب تيار من التيارات الاجتماعية"**[٤]، لذا يجد سعيد أن للمثقف دوراً يجب أن ينهض به، ولا سيما ضمن الحياة العامة، ذلك الدّور يمنعه من التحول نحو فرد يمتهن حرفة معينة. فلا يمكن أن يدخل في خضم التفصيلات، أو الذهاب لاختيار تيار مجتمعي واحد لينتمي إليه، ويقوم بدوره ضمن ذلك التيار. بل ينظر سعيد إلى المثقف بوصفه فرداً مقتنعاً بفكرة معينة يعبر عنها ضمن مجال اهتماماته، ومن ثم يحاول إقناع الجمهور

[١] سعيد، إدوارد. ٢٠٠٣، *الآلهة التي تفشل دائماً*، ترجمة: حسام الدين خضور، دار التكوين، ص ٢٥.

[٢] سعيد، إدوارد. ٢٠١٧، *الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق*، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، ص ٢٦٤.

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ٢٦٣.

[٤] سعيد، إدوارد. ٢٠١٧، *المثقف والسلطة*، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، ص ٣١.

بها، ولا تقتصر تلك الكتابات على إرضاء الجماهير وتطلعاتها، لا بل العكس فيقول سعيد: **"أقل ما يجدر بالمثقف عمله هو أن يكون همه إرضاء جمهوره، أما العبرة الأساسية برمتها أن يكون محرجاً، ومناقضاً بل حتى مكدراً للصفو العام"**[١].

إنَّ ما ينطبق على الجماهير ينطبق على السلطة، فليس للمثقف أن يسعى لإرضائهما، بل يشير إدوارد سعيد إلى أن الانطواء تحت عباءة السلطة من الممكن أن يفقد المثقف دوره الحقيقي كناقد أولاً، فيغدو غيرَ قادرٍ على قول الحقيقة بوجه السلطة، وهنا تتحوّل ثقافته من هواية إلى مجرد حرفة يمتهن منها؛ إذ إنَّ أحد ضروب الاحتراف هو حتمية انجذاب هؤلاء المحترفين إلى الحكام، وأصحاب السلطة، وتلك هي المرحلة الأخطر، لكونها تتّصف بالجمود والانغلاق، وتَضيق رؤية المثقف الإدراكية في المجالات المعرفية المتعددة، فتتغير تطلعاته، وأفكاره، وكتاباته، فيندفع المثقف نحو تحقيق الغايات التي تتطلبها السلطة، وإن كل ما سبق لا شكّ أنه يَحرِفُ المثقف عن عمله الفكري الأصيل، ويذهب به نحو أزمة وصفها سعيد بـ "التدهور المغوي للمعرفة" وهي خروج المثقف من جودة الكتابة والمعرفة إلى ما تبتغيه السلطة، فيصبح أداة لها، ومتحيّزا تجاهها، ولا سبيل للخروج من ذلك إلا من خلال العودة إلى روح الهواية، فيقول سعيد إن: **"إحدى طرائق الحفاظ على الاستقلال الفكري النسبي تتمثل في اتخاذ موقف الهواة لا المحترفين"**[٢].

إضافة إلى ذلك يجد سعيد أن الاعتراف بتلك الأزمة التي لحقت بالمثقفين، وحولتهم إلى متخصصين، هو أحد أهم العوامل في تجاوزها فيقول سعيد في هذا الصدد: **"إن المشكلة التي يواجهها المثقف أو المفكر هي أن يحاول "التعامل" مع ما يصطدم به من طابع الاحتراف المهني الحديث، لا أن يتظاهر بأنها غير قائمة، أو ينكر تأثيرها، بل أن يمثّل مجموعة مختلفة من القيم والمزايا"**[٣].

كذلك إن التحول المفرط نحو المهنية والاختصاص الضيّق، لهو من أبرز المشكلات والممارسات التي تسلب المثقف ميزته في الإبداع والنقد، وتسبب التّعثر في فكر المثقف وتأزّمه، وبالتالي يجب على المثقف العربي المعاصر اليوم أن يعود إلى مجتمعه ليثير القضايا فيه، ويتعامل معها كهاوٍ لا حرفي، وكناقد لا متخصّص، كمثقف حرّ غير منتمٍ لفئة معينة، أو مجال محدّد، وأكثر من ذلك أنَّ سعيداً يدعو المثقف إلى ميدان المعارضة، والنقد الذي يواجه من خلاله الاستبداد دون تنازلات، كل ذلك يحميه من السير في ركب التتبع، فيقول: **"دور المثقف هو أن يعارض وأنا أفكر بهذا على أنه دور نحتاجه بشكل قطعي، عندما أكون معارضاً فإن بوسعي أن أُمحّص وأن أحكم وأن أنتقد وأن أختار"**[٤]، وفي السياق ذاته نستذكر المفكّر محمد عابد الجابري الذي أكد أهمية النقد في حياة المثقف، وعدَّه أحد أهم الأسس في فكر المثقف العربي، فقال: **"الحاجة تدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى، إلى تدشين عصر تدوين جديد، تكون نقطة البداية فيه نقد السلاح، نقد العقل العربي"**[٥].

---

[١] سعيد، إدوارد. *صور المثقف محاضرات ريث ١٩٩٣*، ص ٢٩.

[٢] سعيد، إدوارد. *المثقف والسلطة*، ص ٩٠.

[٣] المصدر السابق نفسه، ص ٨٦.

[٤] سعيد، إدوارد. ٢٠٠٦، *الثقافة والمقاومة حاوره دافيد بارساميان*، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ص ٩٤.

[٥] الجابري، محمد عابد. ١٩٩٠، *العقل السّياسي العربي محدداته وتجلياته*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص ٢٦.

إن التحول نحو النّقد، والخروج من ذلك الجمود المهني، لا يكون إلا من خلال تحقيق المثقف الهاوي، والذي وصفه سعيد بالمثقف النقدي، الذي يمارس المقاومة التي دعا إليها سعيد، والتي تخرجه من قوالب التخصّصات المؤسسية الضيقة نحو فضاء المجتمع، والجماهير لينخرط في قضاياه، فيقول سعيد أنه يتحتّم على المثقف أن يكون: **"هاوياً، أي إنساناً يعتبر أن كون المرء عضواً عاقلاً ومعيناً في مجتمع ما يخوّله إثارة قضايا أخلاقية، حتى في صميم أكثر النشاطات تقنية واحترافية، لأنها تتعلق ببلاده، وقوّتها، وأسلوب تفاعلها مع مواطنيها وأيضاً مع مجتمعات أخرى"**[1].

ومما سبق يمكن القول: إنه وفي ظل إضفاء الطابع العصري التّقني على الحياة، والذي أكثر ما يمتاز به هو الاحترافية، والمهنية، لا بد للمثقف من الاحتفاظ بالهواية أولاً، وبصفة المعارضة شبه الدائمة ثانياً، لا سيما في ظل المحاولات التي ترمي إلى استلاب الهوية من الأمم بشكل عام، والأمة العربية بشكل خاص، من خلال ما يتم تقديمه من تجاوز للهويات، والثقافات، عبر وسائل تقنية سريعة لا يمكن تفاديها، أو تجاهل وجودها، بل التوجه نحو القضايا الأخلاقية والقيّمية، فيقول سعيد: **"المشكلة بالنسبة إلى المثقف هي محاولة التعاطي مع تعدّيات العملية العصريّة لإضفاء صفة الاحترافية، لا بالتظاهر أنها غير موجودة، ولا بإنكار تأثيرها، بل بتمثيل مجموعة من القيم والامتيازات، وهذه سوف أجمعها تحت اسم نزعة الهواية، التي هي فعلاً نشاط يضرم بالتعلق العاطفي لا بالعائد المادي والتخصص الضيق"**[2] إن ما يأمله سعيد ها هنا، هو كفاح المثقف العربي، واستمرار كتاباته، التزاماً بالمعايير التي تحدّدها هويّة مجتمعه، والتصاقاً بهموم جمهوره، وتطلعاتهم، عبر تمثيل مجموعة من القيم، واستثارة القضايا الأخلاقية التي تتعلق بمجتمعه، لذا فحريّ بالمثقف العربي المقاومة، والدفاع عن هويته، وإثبات وجوده.

الخاتمة والاستنتاجات:

توصّل البحث إلى أنّ أهم ما يغذّي أزمة المثقف العربي، ويُضعِف كتاباته، هو تراجع تكوينه الفكري الرّصين، وموقفه الثابت في التطلع نحو كل من الماضي، والحاضر، وبين الحافظ لتراث أمته، ومعاصرة الغرب بتطلعاته، مما يضعف تشكّل رؤى فكرية واضحة، وثابتة، تمنعه من معالجة الأحداث الراهنة، كما تمنعه بالقدر ذاته من الإبداع في الموضوعات المستقبلية.

كما أن ضعف قدرته على التمثيل الصحيح لدوره في مجتمعه برأي إدوارد سعيد عمّق تلك الأزمة ممّا يجعله يراوح مكانه، آخذاً الطابع الشكلي للمثقف في كثير من الأحيان، وهنا يمكن أن تُرد إلى أسباب شخصية تارةً، وإلى أسباب سياسية تتوضح من خلال التدخلات السياسية وحرف بوصلة المثقف عن هوايته، وعن الموضوعات الأخلاقية والعاطفية التي يجب أن يثيرها، وتحويله إلى حرفي متخصّص.

وفي ضوء ذلك خرج البحث ببعض الاستنتاجات، أهمها:

- إن تفكيك أزمة المثقف العربي من خلال البحث في الاتجاهين الأصيل والمعاصر بيّنت أن كلّاً منهما يحمل دعوة للتغريب، إمّا هروباً إلى الأمام وتغييب الماضي، وإما تقهقراً ونكوصاً إلى الخلف والتفريط بالحاضر والمستقبل، وبالتالي لا سبيل إلى تجاوز تلك الأزمة إلّا من خلال محاولة الموازنة

[1] سعيد، إدوارد. *صور المثقف محاضرات ريث ١٩٩٣*، ص ٨٨.

[2] المصدر السابق نفسه، ص ٨٨.

والتوفيق بينهما، والتوصل إلى نقطة التقاء تكون البداية للانطلاق نحو مستقبل فكري ثقافي أكثر إنتاجاً وعطاءً.

– إن هذين التيارين، وعلى الرغم من اختلافهما الظاهر بينهما، إلا أنهما يتفقان في أسلوب المعالجة، والمنهجية المتبعة في الواقع العربي وقراءته، فيلتقيان في رفضهم للواقع الراهن والهروب منه، وتجاوزه إما بالقطيعة مع التراث والهروب منه نحو الحداثة، وإما بتمجيد الماضي والعودة إلى الجذور وإغفال الحاضر.

– كذلك توصل البحث من خلال مناقشته لأفكار إدوارد سعيد حول المثقف العربي المعاصر إلى أنّ تحوّله من الهاوي إلى المحترف يُوقِعه في فخّ التبعية، فيصبح فرداً مهنياً تابعاً لمؤسسةٍ ما، راغباً في تحقيقِ أهدافها، مبتعداً عن النقد، والتفكير الحرّ الذي يعزله عن جمهوره، فيفقد تأثيره شيئاً فشيئاً.

– أيضاً وجد سعيد أنَّ صور الممارسات السُّلطية التي رافقت مسيرة المثقف في القرن العشرين ومحاولة توجيه أفكاره نحو خدمة سلطة عليا، أو هيئة مركزية واحدة، عمّقت أزمة المثقفين العرب، وأفقدتهم دورهم الوسيط بين السلطة والجمهور.

المراجع

الكتب

١. أدونيس. ١٩٧٤، *الثابت والمتحول بحث في الإتّباع والإبداع عند العرب ١ الأصول*، دارة العودة، بيروت، لبنان.

٢. الجابري، محمد عابد. ١٩٨٤، *تكوين العقل العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

٣. الجابري، محمد عابد. ١٩٩٠، *العقل السياسي العربي محدداته* وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

٤. سعيد، إدوارد. ١٩٩٦، *صور المثقف محاضرات ريث ١٩٩٣*، ترجمة: غسان غصن، دار النهار، بيروت، لبنان.

٥. سعيد، إدوارد. ٢٠٠٣، *الآلهة التي تفشل دائماً*، ترجمة: حسام الدين خضور، دار التكوين.

٦. سعيد، إدوارد. ٢٠٠٦، *الثقافة والمقاومة حاوره دافيد بارساميان*، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت، لبنان.

٧. سعيد، إدوارد. ٢٠١٧، *الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق*، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر.

٨. سعيد، إدوارد. ٢٠١٧، *المثقف والسلطة*، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر.

٩. عبد اللطيف، كمال. ١٩٩٩، *الحداثة والتاريخ حوار نقدي مع بعض أسئلة الفكر العربي*، إفريقيا الشرق، المغرب.

١٠. نصار، ناصيف. ١٩٧٩، *طريق الاستقلال الفلسفي*، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، لبنان.

المجلات

١١. بن الهذيلي، يسريى. ٢٠٢٥، *أزمة المثقف العربي وتجليات فكر الأزمة قراءة في أدب النكسة /مقاربة سوسيو _ثقافية*، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران ٢، ١٤(١)، ص ص ٢٧ _ ٥٢.

١٢. علي عيد، محمد أحمد الصغير. ٢٠٢٤، *أزمة المثقف العربي والتحول الديمقراطي*، مجلة نقد وتنوير، ٢٠(٢٠)، ص ص ٦٠ _ ٨٧.